

# الهوس المحتمل

♦ ياسين لمقدم ♦

دخلتُ إلى القهوة التي أترددُ عليها كلَّ حين. جاعني النادل باشاً منادياً عليّ باسمي، بالرغم من أنّي أراه للمرّة الأولى. سألتُه عن الذي كان يشتغل هنا من قبل، منذ الأمس فقط. انتابه بعضُ الشكِّ في ما أقول، واعترائني شعوراً غريباً بأنَّ هذا المكان الذي كان يحتوي ضجري في كلِّ فراغ صار كالردم في الذاكرة. وكى أتجاوز هذا التنافر مضيئاً إلى انشغالي الجديد... إلى همومي الدائمة... إلى الترصُّدِ بظلي، لعلِّي أستجمع سواده في زمن ما.. في غدرٍ ما.

وقفتُ متوازياً مع عمود الكهرباء دونما حراك. انتظرتُ كثيراً حتى شعرتُ بالخدر يشلّ رجلي اليمنى. وحين خرجتُ من منزل عائلتها تعقبتُ خطاها بكل السهول. وكنتُ آفٍ بين اللحظة والأخرى لأقاوم الرعشة التي تدبُّ في قدمي. تقف أمام الواجهات التجارية، تتأمل ما يُعرضُ فيها من ثياب، وأتأمل جسدها الممتلئ: تلك الشهلاء، كيف لي أن أصل إلى قلبها وسط كل هذه الزحمة، وكيف سأدبج الكلمات الأولى؟ فهي المفتاح الذي قد ينير لي دربها، أو يوصد عليّ، كلَّ طريق. لا سبيل أمامي إلا أن أتقدم منها وأجادلها في ما أريد قبل أن ينتن هذا الودُّ إذا انضافت إلى عمره ليلةً سهادٍ أخرى.

رأيُّها تعانق سيدةً اعتقدتُ للوهلة الأولى أنّي أعرفها. طال حديثهما حتى خشيتُ أن يدومَ إلى آخر اليوم، فأجبرتُ على الوقوف طويلاً ثم يعاودني الخدر الذي أتشاعم منه إن سرى في قدمي اليسرى. الدنيا حرّ، والناس حولي يجرون خطواتهم بتكاسل تام، فأضطرُّ للإشاحة بوجهي عن أدمي أعرفه قد يمرّ على مقربة مني. الحدث الذي أنا فيه جلل، ولا أريد أن يهتزَّ تركيزي بكلام عابر.

فطنتُ بعد شبه غيبوبة إلى أنّ الناس الذين أعرفهم أو أكاد قد تغيّرتْ سحناتهم: لا أدري لماذا أشعر أنّهم قد كبروا قليلاً. حتى بعض الصبيان أراهم الآن يافعين. اعتقدتُ أنّها ضربةُ شمس لا محالة. وكدتُ أقنع نفسي بالعدول عما عزمتُ عليه إلى أن يستقرّ حالي، لولا مشاهدتي عناقها التوديعي لتلك المرأة إيذاناً بالتفرُّد المنتظر. حثتُ الخطو حتى دنوتُ منها، ولمّا شعرتُ أنّي خلفها تماماً مدّت ذراعها إلى الوراء فجرّنتني إليها بكلِّ قوّة، ثم دفعتني أمامها ضاحكةً حتى كدتُ أتهاوى على الأرض من شدّة الدهشة. وسألتني بعد ذلك بجديّة عن سبب تعقُّبي إيّاها إن كان مردُّه الشكُّ بالوفاء. عندها فهمتُ أنّ التي أمامي هي زوجتي التي لي منها بضعة أطفال، تزوجتُها بعد هيامٍ دام في القلب إلى الآن.

الرباط

♦ - كاتب من المغرب